العقاري
أخبار الخليج
إعداد: محمد الساعي
العدد (17491) - السنة الحادية والخمسون - الأربعاء 23 شعبان 1447هـ - 11 فبراير 2026م
www.akhbar-alkhaleej.com

متحف العين.. حيث تسرد الأجيال المتعاقبة حكايتها

الشيخ زايد اختار الموقع بنفسه.. وأعمال التطوير كشفت مفاجأة قلبت الموازين

هندسة معمارية تمازج بين التاريخ القديم والعمارة التقليدية والتكنولوجيا الحديثة

أكثر من 1800 قطعة أثرية تعود أقدمها إلى 300 ألف سنة في المنطقة

معايشة حية لنظام الأفلاج يعيشها الزائر بأسلوب يخلق تجربة استثنائية

في قلب مدينة العين التي تعرف باسم «مدينة الحدائق»، تقف تلك القلعة شامخة لتحكي قصة أجيال متعاقبة. تحفة معمارية تحتضن بين جنباتها مقتنيات وآثارا تسرد تاريخ واحدة من أقدم المناطق المأهولة في العالم، وتروي قصة الوجود البشري في المنطقة منذ العصر الحجري القديم مروراً بالعصور البرونزية والحديدية، وصولاً إلى العصر الحديث.

إنه متحف العين.. الذي يعد أول متحف أُنشئ في دولة الإمارات العربية المتحدة، وتأسس في أغسطس عام 1969 برؤية حكيمة من المؤسس المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيّب الله ثراه، وفي خطوة اعتبرت سباقة في بناء وعي وطني يقدر التاريخ ويحتفي بالهوية.

ففي خمسينيات القرن الماضي، بدأت التنقيبات في مدينة العين التي تمثل مسقط رأس الشيخ زايد. وكان فريق آثار دنماركي هو أول من ابتدأ المهمة. وفي 1969 قرر الشيخ زايد بن سلطان أن يفتتح متحفا يقدم صورة لتاريخ المدينة العريقة، واختار بنفسه الموقع بالقرب من قصر سلطان.

حينها.. لم يعلم طيب الله ثراه أن الموقع الذي اختاره بنفسه، سيشهد خلال سنوات لاحقة مفاجأة تقلب الموازين، وتغير الحسابات، حيث وجد الخبراء أن هذا الموقع يطفو على كنز تاريخي ثمين يمثل إرثا ثقافيا عالميا، ويقدم صورة أخرى لعراقة مدينة احتضنت أجيالا متعاقبة عبر التاريخ.

مفاجأة قلبت الموازين

يقع المتحف بجوار قلعة سلطان على أطراف واحة العين التاريخية التي أُدرجت ضمن قائمة التراث العالمي لمنظمة اليونسكو، ما يمنحه مكانة ثقافية وسياحية مميزة.

مقتنيات تروي قصة الوجود البشري منذ العصور الحجرية والبرونزية والحديدية وصولا إلى العصر الحديث

وفي السنوات الأولى، عرضت مقتنياته داخل جزء من القلعة كمقر مؤقت للمعروضات، قبل أن يبنى مبنى خاص للمتحف مقابل القلعة، وافتتح الشيخ طحنون بن محمد آل نهيان، ممثل الحاكم في منطقة العين المتحف رسميا في 30 نوفمبر عام 1971.

وبحلول عام 1974، أظهرت الاكتشافات الحاجة إلى إنشاء متحف أكبر، فوجه الشيخ زايد رحمه الله بتوسعة المتحف، وهذا ما تم بالفعل، حيث افتتح قاعتين جديدتين عام 1975. ولم تتوقف أعمال التنقيب والبحث والاستكشاف منذ ذلك الوقت، مما تطلب المزيد من التوسعة التطوير.

استجابة لتلك الحاجة، وفي أغسطس عام 2018 أغلق المتحف مؤقتا للقيام بأعمال التوسعة، وهنا كانت المفاجأة التي قلبت الموازين ورفعت من القيمة التاريخية والثقافية والإنسانية للمتحف، حيث اكتشف المتخصصون أن مبنى المتحف يعلو كنزا أثريا يعود إلى آلاف السنين، وهي آثار لم تكن مسجلة او معروفة من قبل، ما يجعل هذا الاكتشاف من أهم الاكتشافات الأثرية في المنطقة لأنه كشف طبقات تاريخية كاملة كانت مجهولة تماما.

خلال عمليات الحفر تحت الموقع، ظهرت ملامح آثار مدفونة، مما أدى إلى إيقاف الأعمال فورا والبدء بحفريات أثرية علمية قادت إلى اكتشاف منظومة أثرية متكاملة، أبرزها شبكة أفلاج قديمة للري كانت تنقل المياه إلى الواحات القريبة، وبعضها يعود إلى العصر الحديدي، بينما وُجد فلج آخر يعود إلى الفترة الإسلامية المبكرة. واكتشف مدفن ما قبل الإسلام، وقبر أثري عمره يقارب 2000 سنة يعكس النماذج النادرة للهندسة الجنائزية القديمة في المنطقة. كما عُثر على آبار قديمة أعيد استخدام بعضها لاحقا.

وكل ذلك استدعى إعادة تصميم المتحف بالكامل ليحتضن تلك الأفلاج ويقدمها بشكل حي يعايشها الزائر بموقعها الأصلي، وبطريقة تخلق تجربة استثنائية.

وفي 24 أكتوبر الماضي (2025)، افتتح المتحف ليظهر بالحلة الجديدة وبشكله الحالي المميز الذي يمازج بأسلوب فريد بين التاريخ القديم والعمارة التقليدية والتكنولوجيا الحديثة، وحرص القائمون عليه على اعتماد أسلوب عرض حديث يدمج التكنولوجيا مع المحتوى التاريخي، بما يشرح تاريخ المنطقة وتراثها وعاداتها بطريقة تعليمية لافتة، مع تقديم مفهوم «الآثار الحية» الذي يسمح للزوار بمشاهدة عمليات التنقيب الأثري أثناء العمل.

بعد التوسعة، وصلت مساحة المتحف إلى أكثر من 8,000 متر مربع بعد أن كانت لا تتجاوز 1200 متر، ويضم في أروقته حاليا أكثر من ???? قطعة أثرية، تعود أقدمها إلى ??? ألف سنة من الوجود البشري في المنطقة، وتسرد المدافن الأثرية ونظم الري والحُلي والفخار والأسلحة، قصة تعاقب أجيال سكنت تلك المنطقة.

ويركّز المتحف اليوم على توثيق تاريخ الاستيطان البشري في منطقة العين لأكثر من 8000 سنة مع عرض لنمط الحياة الزراعية ونظام الأفلاج القديم للري والحرف التقليدية والعادات الاجتماعية والأدوات والأسلحة والقطع الأثرية القديمة وتاريخ الواحات والمستوطنات البشرية القديمة.

وتضمنت التوسعة إنشاء10 قاعات عرض رئيسية جديدة مزودة بتقنيات تفاعلية حديثة وأنظمة عرض سمعية وبصرية متطورة، مع إضافة مرافق جديدة للزوار مثل مركز الأبحاث ومختبرات حفظ وترميم الآثار، وقاعات تعليمية، ومكتبة وغرفة قراءة، ومقهى ومتجر للهدايا، وصالة للمعارض المؤقتة. وبنفس الوقت حافظ مشروع التوسعة على الإبقاء على المبنى الأصلي للمتحف ودمجه في التصميم الجديد، ليبقى جزءاً من السرد التاريخي للمكان.

وكل ذلك جعل المتحف مركزاً حيويا للبحث والدراسة والتعلّم والاكتشاف، ومن أبرز المعالم الثقافية والتاريخية في دولة الإمارات العربية المتحدة، ونافذةً مهمة على تاريخ المنطقة وتراثها الحضاري تسهم في تعميق الفهم للتطور التاريخي والثقافي لمدينة العين ومحيطها.

الأفلاج

لعل أول ما يلفت نظر الزائر، هو تلك القاعات التي تقدم صورة حية وحقيقية للآبار ونظام الأفلاج في الري، حيث صممت أرضيات المتحف وأقسامه بحيث يمكن للزائر أن يشاهد الآبار العميقة والأفلاج الحقيقية تحت الأرض ويمشي عليها، ما يخلق تجربة استثنائية لا تنسى، خاصة وأن عمر هذه الأفلاج يعود الى حوالي 3000 سنة مضت. وفي عام 2020، تم إدراج نظام الأفلاج الإماراتي في القائمة التمثيلية للتراث الثقافي غير المادي لدى اليونسكو، تقديراً لقيمته التاريخية والإنسانية.

تعد الأفلاج من أقدم نظم الري التي عرفها الإنسان خصوصاً في شبه الجزيرة العربية وإيران وعُمان والإمارات.، وكانت الأفلاج تعد شرايين الحياة في البيئات الصحراوية، حيث تعتمد حفر قنوات مائية تحت الأرض أو على سطحها، لنقل المياه الجوفية عبر قنوات بالاعتماد على الانحدار الطبيعي والجاذبية الطبيعية، ما يسمح بقيام الزراعة والاستقرار السكاني في الواحات.

وتعد الأفلاج في مدينة العين من أهم المعالم التاريخية والتراثية في الإمارات، حيث تعود جذورها إلى العصر الحديدي (حوالي 3000 سنة مضت)، ما يجعلها إرثا حضاريا وثقافيا يعكس عبقرية الأجداد في التعامل مع المياه في بيئة صحراوية قاسية.

ويؤكد المؤرخون أن نظام الافلاج كان السبب الرئيسي في نشوء الواحات والزراعة في مدينة العين، وساعدت السكان على الاستقرار في المنطقة منذ آلاف السنين.

وقد اهتم المغفور له بإذن الله تعالى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، بصيانة الأفلاج منذ توليه إدارة العين عام 1946، حيث قام بحفر المزيد منها وألغى تجارة الماء ليصبح متاحاً للجميع.

وتتكون البنية الهندسية للفلج من عدة أجزاء رئيسية هي:

– أم الفلج: وهي مصدر المياه الجوفية.

– القناة الأساسية التي تنقل المياه من المصدر، ويتم حفرها بطريقة هندسية دقيقة.

– الشريعة: نقطة توزيع المياه في القنوات إلى اتجاهات مختلفة.

– القنوات السطحية التي توصل المياه إلى المزارع والواحات.

حصن سلطان

ضمن حدود متحف العين، وفي قلب القرية القديمة أو ما يعرف باسم حارة الحصن، يقف حصن سلطان بشموخ ليقدم هو الآخر تاريخا للآباء والأجداد. فقد بني الحصن المعروف أيضاً باسم الحصن الشرقي عام 1910 على يد الشيخ سلطان بن زايد، نجل الشيخ زايد الأول، الذي حكم إمارة أبوظبي بين عامي 1922 و1926.

وقد بني الحصن في إطار تعزيز الحماية الأمنية للمنطقة وتنظيم الحياة الإدارية والاجتماعية في مدينة العين، التي كانت آنذاك مركزاً زراعياً مهماً بفضل الواحات ونظام الأفلاج التقليدي للري.

ويمتاز الحصن بطرازه المعماري التقليدي، حيث بُني باستخدام الطوب الطيني (اللبن) والجص، وهي مواد كانت شائعة في عمارة المنطقة بسبب قدرتها على التكيف مع المناخ الصحراوي الحار. ويضم الحصن أبراج مراقبة أقيمت في زواياه لتعزيز الحماية والرصد، إضافة إلى بوابة رئيسية تؤدي إلى ساحات داخلية وغرف كانت تستخدم للسكن والإدارة والتخزين.

ويرتبط الحصن تاريخياً بحارة الحصن، وهي منطقة سكنية قديمة شكّلت نواة المجتمع المحلي في العين، ما يمنح الموقع قيمة تاريخية واجتماعية كبيرة، حيث يعكس نمط الحياة اليومية للسكان في تلك المرحلة.

وكما أسلفنا.. مع تأسيس متحف العين الوطني عام 1969، أصبح حصن سلطان جزءاً من هذا المشروع الثقافي، واستُخدم في البداية كموقع لعرض المقتنيات الأثرية قبل إنشاء مبنى المتحف الحديث.